عن مكسب مادي ، لجاز لنا أن نقطع منهم الامل ، او أن نستبيح لانفسنا النزول الى درك شراء الذمم كما يفعل العدو .

لكن الامر ، كما أزعم ، ليس كذلك . ان ظروفا ومؤثرات سياسية وفكرية ، ونفسية الى حد بعيد ، مر هؤلاء بها او تعرضوا لها ، منذ سنوات وربما منذ أعقاب الحرب العالمية الاخيرة ، جعلتهم أكثر انفتاحا على ما يعلنه العدو ويذيعه من اعلام قوي ونشيط ومتقدم ومركز ضد الحق العربي في فلسطين وتبرير الاطماع الصهيونية . وقد قابله ، من الجهة الاخرى ، غياب تام أو شبه تام في معظم الاحيان للاعلام العربي : غياب رسمي تام وجهد فردي متقطع ومحصور في مكان ضيق . فقد غابت الحقيقة عن هؤلاء ، ولم تقع أيديهم وأبصارهم على المعلومات الصحيحة والوقائع الاصلية ، بينما ازدحمت مصادر معلوماتهم بالاخبار والتعليقات والتفسيرات التي يبثها الصهيونيون بعد أن يصوغوها على هواهم وحسب مصالحهم .

واذا كان هؤلاء يرون « اسرائيل » واحة ومنارة فلأن الدعاوة الصهيونية صورتهـا كذلك ولان الاعلام العربي قصر ولم يقدم لهؤلاء الصورة الاخرى ، الصورة الحقيقية لاسرائيل .

بالطبع ، لا أريد أن أقول أن الذنب كله هو في النهاية ذنبنا نحن وان الاسرائيليين محقون في خدع الناس وان علماء العالم الموالين للصهيونيين محقون في تصديق الاكاذيب وتجاهل الحقائق . لكنـي ، في الوقت نفسه ، لا أستطيع أن أتجاهل مسؤوليتنا الكبيرة في قيام هذا الجدل الهائل بين هؤلاء العلماء وبين الحقيقة وفي استمرار وتوثيق علاقاتهم مع الصهيونية . اذ أن اعلامنا ، وأعني به الاعلام الرسمي ، اعلام الدول العربية والجامعة العربية ، ملته بالكلام . انه ينصرف عن الاعلام الى الحديث عـن الاعلام — الحديث المكرر ، التائه ، المطلق ، البعيد عن التنفيذ والممارسة . ومهما كانت التطورات التي طرأت على أجهزة الاعلام الرسمي في أعقاب حربي حزيران وتشرين ، وبالرغم من عشرات المؤتمرات والدراسات التي عقدت وقدمت لبحث أزمة الاعلام العربي وسبل تنميته ، فان الحقيقة المؤلمة الراهنة هي ان هذا الاعلام لا يزال مقصرا في اداء المهمة ولا يزال متخلفا عن الدعاية الصهيونية — أما المكاسب التي تنسب أحيانا الى اعلامنا (أو التي ينسبها اعلاميونا الى أنفسهم) ، من حيث حصول تبدلات أساسية في مواقف جماعات أجنبية تجاه الصراع العربي — الاسرائيلي ، فان معظمها انما هو حاصل نجاحـات الثورة الفلسطينية والانتصارات العربية وتصميم الشعب العربي وليس نتاج الجهد الاعلامي المجرد .

وكما نخطىء اذا ألقينا بالمسؤولية على الدعاوة الصهيونية وتجاهلنا تقصير اعلامنا الرسمي ، نخطىء بالقدر نفسه اذا ألقينا المسؤولية كلها على اعلامنا الرسمي وتجاهلنا دور المواطن العربي ، كل مواطن ، في الاعلام لقضيته . لان الاعلام ليس واجب السلطة فقط ، بل هو واجب الفرد أيضا . وهذا ما تعرفه اسرائيل وما تفعله . فان كل صهيوني هو داعية لاسرائيل . وكذلك السائح الاسرائيلي في الخارج . وكذلك الطالب الاسرائيلي . وكذلك كافة موفديها الى المؤتمرات والحلقـات الدراسية ، بل ومرضاها الذيـن يعالجون في خارج فلسطين المحتلة . ولعلنا نعي نحن أيضا ذلك . فيكون مواطننا اعلاميا يتحمل مسؤولية الاعلام لبلده ، سائحا كان أو طالبا أو مهاجرا أو تاجرا او رجل علم وفكر . آنذاك نستطيع أن نرد على الاكاذيب الصهيونية . ونستطيع أن نثبت ان الواحة الاسرائيلية ليست أكثر من بؤرة تخريب ومصدر تأخير للوجود وللنمو العربيين ، وان النور الذي أراد الصهيونيون أن يهتدي به عرب فلسطين هو في الحقيقة شعاع قاتل قصدت منه اسرائيل ابادتهم والتخلص منهم .

المواطن العربي الداعية لقضية بلده وثورته ، الاعلامي بنفسه وبدون تكليف ولا مساعدة من السلطة ، هو في نهاية الامر الذي يستطيع أن يتصدى للدعاية الصهيونية وأن يبطل مفعولها بتبيان أكاذيبها وبمقارنة المزاعم بالحقائق .